

ثلاثة أسئلة وأجوبتها

بقلم أ. د يوسف الخليفة أبوبكر *

السؤال الأول: ما الفرق بين الحرف القرآني والحرف العربي؟

تساءل كثيرون عن المقصود بالعبارات التالية التي تتكرر كثيراً في أدبيات كتابة اللغات بالحرف العربي أو الحرف القرآني المنمط وهي: ما المقصود بكلمة (المنمط)؟ في منتصف الثمانينات من القرن العشرين قررت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) تشجيع الشعوب الإسلامية على محو الأمية بالحرف العربي فتولى البنك الإسلامي للتنمية وإيسيسكو تكوين لجنة من علماء الأصوات فدرست الطرق المتبعة في كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي، واتضح لها أنها في حاجة إلى إصلاح لكي تكون كتابة هذه اللغات بالحرف العربي أكثر دقة من الناحية الصوتية، بمعنى أن يكون لكل صوت حرف خاص به، ولا يعبر الحرف عن أكثر من صوت واحد. ولذلك ابتكرت اللجنة حروفاً وحركات جديدة تعبر عن أصوات اللغات الإفريقية بدقة، وأصبح لكتابة اللغات الإفريقية نظام (نمط) واحد مقنن Standardized وسمي بالحرف القرآني المنمط.

ب- ما الفرق بين (الحرف القرآني) و (الحرف العربي)، وما الخطأ في عبارة (الحرف العربي)؟

* رئيس مركز يوسف الخليفة لكتابة اللغات بالحرف العربي

والجواب هو أن بعض المثقفين في غرب أفريقيا يرون أن التعبير عن كتابة لغاتهم بالحرف (العربي) يحمل شيئاً من العنصرية والتحيز للعرب، فاستخدمت إيسيسكو عبارة: كتابة اللغات الإفريقية بالحرف (القرآني) بدلاً من الحرف العربي. ووجدت جامعة إفريقيا أن مصطلح (الحرف العربي) مقبول في بقية أنحاء أفريقيا، خاصة في شرقها ووسطها، وهذا التعبير شائع عالمياً في الثقافات الأخرى وفي أوروبا (Arabic Script)، ولهذا استخدمت جامعة إفريقيا العالمية هذا التعبير وسمي به (مركز يوسف الخليفة لكتابة اللغات بالحرف العربي).

السؤال الثاني:

لماذا نفضل تعليم الطفل القراءة والكتابة العربية أولاً بلغة أمه؟

أ- لقد أراد الله لي أن أقضي نصف قرن من الزمان في معالجة تعليم القراءة والكتابة لغير الناطقين بالعربية منذ أن عينت معلماً للغة العربية في مدرسة رمبيك الثانوية عام ١٩٥٥م. ثم نقلت مساعداً للدكتور خليل محمود عساكر فكتبنا خمسة كتب بلغات جنوب السودان بالحرف العربي، ودرينا أكثر من ثمانمائة معلم على تدريسها في الصف الأول من المرحلة الأولية. وقارنا بين الطفل الذي يبدأ تعلم القراءة بلغة الأم أولاً مع الطفل الذي يبدأ تعلم القراءة والكتابة من كتاب المطالعة الأولية (باللغة العربية)، واتضح لنا من المقارنة أن الطفل الذي يتعلم القراءة والكتابة من خلال كلمات وجمل من لغته الأم لا يحتاج إلى أكثر من عشرين ساعة ليكون ماهراً في القراءة والكتابة، ليس قراءة الكلمات والجمل بل قراءة قصص قصيرة من لغته المكتوبة بالحرف العربي. فإذا انتقل إلى تعلم اللغة العربية يجد نفسه قد اجتاز أهم مشكلات التعلم وهي القراءة والكتابة.

ب - أجرينا هذه التجربة في عشرات المدارس (مدارس القرى والصف الأول في المدارس الأولية وذلك عام ١٩٥٧م وفي عدد من المناطق في مرتبتين الاستوائية

وبحر الغزال - تحديداً في المدن التالية (نمولي - تويرت - جوبا - لانيا - باي - مندري - لوكا - مريدي - بامبيو - انذارا - سورسبو - طمبرة - واو - الفونج - رمبيك - يرول - والورو). وشهد بعضها سر الختم الخليفة مساعد مدير المعارف للمديريات الجنوبية ومفتشو التعليم في الجنوب، وأشادوا بالتجربة. أجرى التجربة د.عساكر ويوسف الخليفة وعدد من المعلمين الجنوبيين الذين تدريبوا على تدريس لغاتهم بالحروف العربية .

ج - ارتكزت العملية على ثلاثة مبادئ: نفسية، وتربوية، والتجربة الميدانية .
في الجانب النفسي: لاحظنا توتراً نفسياً يحدث عند الطفل عند بداية

تعلمه الحروف العربية من خلال كلمات عربية. كما في المثال التالي :
الطفل الذي نعلمه رسم حرف الألف مثلاً ونربط رسم الألف بمدلوله الصوتي نقدم له مثلاً بكلمة (أسد) آ - أسد. لأول وهلة ينصرف تفكير الطفل عن الهدف الأساسي للدرس وهو رسم الحرف وربطه بمدلوله الصوتي (فيسأل في نفسه سؤالاً لا يجد له إجابة لماذا يسمون هذا الحيوان (أسد) ونحن نسميه كذا - بلغتنا... ويهدر المعلم وقته وجهده بتكرار آ- أسد، وب - بقر والتلميذ يكرر وراء المعلم ولا يجد إجابة عن سؤاله. والطفل قد شرد تفكيره دون تحقيق هدف المعلم (وهو ربط الحرف بالصوت).

فإذا أدخلت الكلمات العربية في جمل كان الأمر أكثر تعقيداً ويظل الطفل يعيش في توتر نفسي، وتضعف قدرته على الاستيعاب، ويحتاج المعلم إلى مضاعفة الجهد والوقت للوصول إلى هدفه .

و في الجانب التربوي فإن البدء بتعلم الطفل القراءة والكتابة من خلال كلمات وجمل من لغته الأم نكون قد حققنا مبادئ تربويين الأول: التدرج من المعلوم إلى المجهول، والثاني: الانتقال من المحلية إلى القومية .

فإذا كان المثال بكلمة من لغة الطفل فإن التساؤل والتعجب يزول، ويركز الطفل على هدف الدرس وهو ربط الحرف بمدلوله الصوتي .

د - ثم إن الطفل الذي يتعلم الكتابة والقراءة بالحروف العربية باستخدام كلمات من لغته الأم يحس بأن هذه الحروف أو الكتابة هي جزء من ثقافته وشخصيته وبيئته اللغوية. كما أن تعليم الطفل القراءة والكتابة بلغته يجعله يستمتع بثقافته ولغته، وهذا ما نادى به منظمة اليونسكو قبل أكثر من ستين عاماً حول أهمية أن يبدأ الطفل تعلمه بلغته الأم. وتعليم القراءة والكتابة باللغة الأم سوف يكون مدخلاً لبدء تعلم اللغة العربية من الكتاب المقرر أيا كان هذا الكتاب .

أما المبدأ الثالث فهو التجربة الميدانية التي يجعلها العالم خبير المناهج ه.دوقلاس براون أفضل الطرق بقوله في كتابة المشهور مبادئ تعليم وتعلم اللغة (إن طريقة التدريس مهما تكن جاذبيتها، ومهما تكن عملية ومنطقية فإن أفضل طريقة هي التي يتوصل إليها المعلم من تجربته الفاحصة والمراجعة المتواصلة. ه - على هذه الأسس قمنا بكتابة خمسة كتب بلغات جنوب السودان بالحروف العربية ودرينا عليها مئات المعلمين في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين . و - والآن قد أعد مركز يوسف الخليفة لكتابة اللغات بالحرف العربي بجامعة إفريقيا العالمية خمسة كتب لتعليم القراءة والكتابة بخمس لغات إفريقية هي التبادوية، وبنى عامر، والهوسا والفلاني، والولوف. والأخيرة يتحدث بها الناس في السنغال، أما الهوسا والفلاني فهي مشتركة بين السودان وكثير من دول غرب إفريقيا .

أعدت هذه الكتب أساتذة ومعلمون من ولايتي كسلا والبحر الأحمر وهي لغاتهم الأم، ونحن الآن بصدد تجربة هذه الكتب في بيئتها، خاصة اللغة التبادوية والبنى عامر (أو التقري). عن طريق معلمين من البيئة. وقد أُعدَّ مرشد واستبانة لكي يدون المعلمون ملاحظاتهم حول كل درس، ومن ثم يجري التعديل اللازم للكتب على ضوء تجربتها ميدانياً.

السؤال الثالث: هل كانت هنالك مؤامرات على الحرف القرآني؟

بعض المثقفين ينكرون أن هنالك مؤامرة قد دبرت لإقصاء الحرف العربي الذي كانت تكتب به لغات المسلمين ونذكر أنه حتى الربع الأول من القرن العشرين كان الحرف العربي هو الغالب في كتابات كل شعوب العالم، إذ كتبت به أكثر من مائة لغة في قارتي آسيا وأفريقيا، حتى أوروبا كانت تكتب به عشر لغات. وبعد أن غزت جيوش أوروبا بلاد المسلمين بدأت معها حملة ضد الإسلام ديناً وثقافة ولغة وحرفاً. واتخذت الحملة أساليب وأدوات مختلفة: التخويف والترويح والإغراء وتجنيد ضعاف النفوس والتبشير بمدارسه ومستشفياته وخدماته المتنوعة. وكان من إستراتيجياته أن يوحي إلى أبناء العرب أن اللغة العربية لا تصلح لتكون وسيلة لتعليم العلوم، وأن من الأفضل أن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية، وأن الحرف اللاتيني هو الأفضل لكتابة لغات الشعوب الإسلامية. حمل لواء هذه الحملة بريطانيا في المستعمرات الانجلو - فونية، وفرنسا في المستعمرات الفرانكو - فونية، وبشرت بذلك جميع الهيئات التبشيرية الأوروبية. ولتنفيذ هذه الإستراتيجية عقدت الاجتماعات والمؤتمرات وتمت الاتصالات بالمؤسسات الأكاديمية وعلى رأسها الجامعات الأوروبية .

وأكتفى هنا بقصتين واقعتين نشرتهما مجلات وكتب موثوقة، توضح مدى ما كان يخطط ضد الحرف العربي الذي تكتب به اللغة العربية ولغات الشعوب الإسلامية، وما بذلته المؤسسات الأكاديمية البريطانية من جهود لتنفيذ هذه الإستراتيجية الغربية، وحمل المثقفين العرب لتغيير كتابة اللغة العربية لتكون بالحروف اللاتينية بدلاً من الحرف العربي، وكذلك كتابة لغات المسلمين وتحويلها من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني .

القصة الأولى: أوردها الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني في كتابه (اللغة العربية في مدارج القرن الواحد والعشرين) صفحة ٤٥،

رواها له الأستاذ سعيد الذي شهد لقاء بين الأستاذ محمد كرد علي رئيس
المجمع العلمي بدمشق والأستاذ مرغليوث أستاذ اللغة العربية في جامعة
أكسفورد بانجلترا .

قال الأستاذ سعيد :

لقد حضرت أنا نفسي مسعى هذا الدبيب الخفي للنيل من اللغة العربية قبيل
الحرب العالمية الثانية. كنت والأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي
بدمشق في داره، وإذا به يستقبل زائراً طاعناً في السن.. فقدمه لي بقوله:
"مرغليوث؟".

وعرفه بي.. لم يطل مجلسه أكثر من نصف ساعة عرفت فيه أن حكومته -
ووزارة المستعمرات الإنجليزية - قد أوفدته لمهمة من لندن ليبيت ليلة في دمشق،
وثانية في القدس ليحط رحاله في الثالثة في طهران حيث إنه على موعد مع
الشاه .

قال الأفغاني مواصلاً قصته :

رأيته - أي رأى مرغليوث - يهجم على موضوعه دون تلبث فيناقش الأستاذ
كرد علي قائلاً: ما الذي أبطأ بالبلاد العربية عن الاقتداء بتركيا في اتخاذ
الحروف اللاتينية؟ وكم أضاعوا -أي العرب - على أنفسهم هذا الرقي
الباهر؟! فأجابه الأستاذ محمد كرد بلطف مشيراً إلى خطأ هذه الفكرة، وأن
وراءها ضرراً على العرب لا يحصى، وأن الأتراك أنفسهم أضاعوا مركزهم في
الشرق بتبديل حروفهم. فمارى (أي جادل) مرغليوث في كل ما سمع، وقال: إن
أمله وطيد في أن يحذو الشاه حذو أتاتورك، وأن العرب لا يحملهم على تغيير
كتابتهم إلا حاكم قوي مثل أتاتورك، أو الشاه بهلوي؟ وأنه مسافر إلى طهران
لدراسة أسباب تأخر الشاه عن المبادرة بفض الأحرف اللاتينية.

انتهت القصة

أما القصة الثانية فقد نشرتها مجلة العالم الإسلامي The Mushin World التي تصدر في كندا، وهي مجلة تبشيرية قديمة، نشرت في عددها رقم ٢ عام ١٩١١م، صفحة ٢١٢ تحت عنوان (العربية الأبجدية أم اللاتينية Arabic or Latin Alphabet وترجمته :

(لكي تقاوم الإرسالية الألمانية الإسلام في شرق أفريقيا فقد أبدلت الحرف العربي بالحرف اللاتيني في كتابة اللغات المحلية، وقد علمنا أن ذلك يعتبر ضربة للإسلام. ليس فقط في أفريقيا، ولكن أيضاً في ألبانيا التي بدأت تثار فيها قضية كتابة اللغة بالحرف اللاتيني أو الحرف العربي موضوعاً للنقاش) .

وبما أن ألبانيا تقع في حدود القارة الأوروبية حيث وضع أمامهم الخياران: حضارة الشرق أو الغرب وتعد هذه قضية سياسية مهمة. ومن الطبيعي أن يفضل الحزب التركي الناشيء الحرف العربي، إلا أن الألبان الأذكياء وغيرهم من الذين يميلون إلى المسيحية يفضلون أن تكون الحروف اللاتينية لكتابة لغتهم وسيلة إلى الثقافة الغربية. وفي ذات الوقت قد علمنا من مراسل بالمنطقة أن الصدام في الآراء حول هذه القضية قد أثار الاضطراب في كل الولايات الألبانية ."

In order to meet the advance of Islam in East Africa the German missionaries are supplanting the Arabic Alphabet in the vernaculars by the latin, and we are told that this will prove blow to Islam. It is not only in Africa, however, but in Albania that the question of Arabic or Latin is being raised. Situated on the borders of Europe and with the choice before them of Eastern or Western civilization, it is a vital political question. The young Turkish party naturally favours

the Arabic, but the more intelligent Albanians and those who incline towards Christianity favour the latin as the medium of Western culture.

Mean while we are told by a correspondent that the Clash of opinion is setting the Whole province of Albania in commotion.

من هذا يتضح لنا كيف كانوا يقاومون الإسلام عن طريق تحويل الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني في لغات المسلمين، ويعتبرون أن ذلك ضرب للإسلام ليس في أفريقيا ولكن أيضاً في أوروبا الشرقية عندما علموا أن اللغة الألبانية يجري التفكير تحويل كتابتها من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، وبعد جدل كبير بين المثقفين هناك وتشجيع المؤسسات التبشيرية وقد تم لهم ذلك.